المحاضرة التاسعة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند أوجست كونت 1798 – 1857 (فرنسي)

عناصر المحاضرة

- أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع.
- ثانياً: موضوع علم الاجتماع وأقسامه
- ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم.

أوجست كونت (1798 – 1857)

- عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، وهو من أبرز مفكري القرن التاسع عشر الميلادي
- يعتبره الغرب منشأ علم الاجتماع في أوربا. فهو من أعطى علم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن.
- ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للمذهب الوضعي
- تتلمذ على يد الفيلسوف الفرنسي سان سيمون، الذي كان لأفكاره أثر كبير على نظرياته التي عرضها فيما بعد في أهم مؤلفاته: "محاضرات في الفلسفة الوضعية" و "نظام في السياسة الوضعية".

ينسب إليه المؤرخون الفضل كل الفضل في إنشاء علم الاجتماع الحديث، هذا وقد أشرنا في فصول سابقة إلى أن ابن خلدون هو أول من أنشأ هذا العلم وأرسي قواعده وعالج مسائله، غير أن بحوثه لم يتح لها ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار فظلت في طي الكتمان قرونا طويلة، وكان لابد من الانتظار حتى مجيء "كونت" في القرن التاسع عشر ليعلن من جديد ضرورة قيام هذا العلم.

أول من صاغ مصطلح علم الاجتماع هو أوجست كونت في القرن التاسع عشر الميلادي.

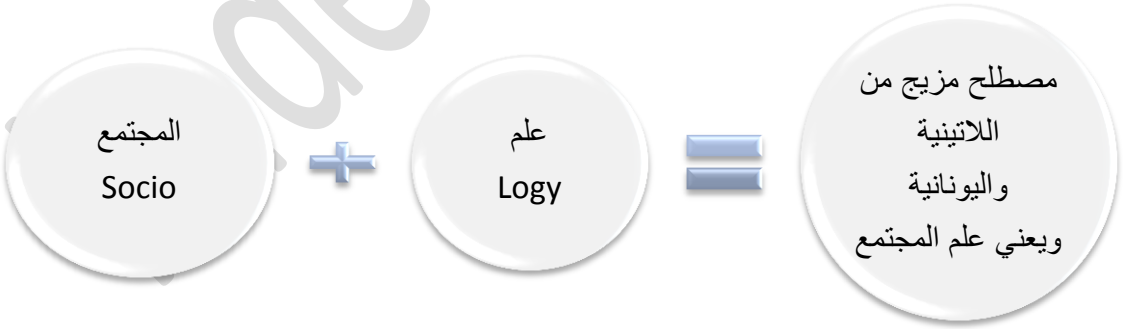

من أهم أعماله مقالة بعنوان: "نشرة عن الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع".

وقد أوضح في هذا المقال الذي مهد لقيام علم الاجتماع الحديث : قانونه الأساسي في طبيعة التفكير الإنساني؛ مشيراً إلى أن الفكر الإنساني يمر **بثلاثة مراحل عبر التاريخ**:

1. اللاهوتية (الثيولوجيا أو الخيالية)
2. الميتافيزيقية (المجردة)
3. الوضعية (العلمية)

أهم نظرياته

1. ضرورة قيام علم الاجتماع
2. موضوع علم الاجتماع
3. منهاج البحث في علم الاجتماع
4. نظرية التقدم الاجتماعي
5. نظرية كونت في الأسرة

من العوامل التي أثرت في كونت لإنشاء علم الاجتماع:

1. تفسير الظروف الاجتماعية السيئة والتغيرات الواسعة التي حدثت في المجتمع الفرنسي نتيجة للثورة الصناعية
- الأجور ومشكلات العمل

2. ظهور مشكلات اجتماعية متعددة نتيجة هذه الثورة مثل:
- انفصال الناس عن أسرهم لساعات طويلة
- سوء الأحوال السكنية

أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع

الضرورة التي جعلت "كونت" يميل إلى إنشاء علم الاجتماع **هي**: رغبته في إصلاح المجتمع وإنقاذه من مظاهر الفوضى الضارية.

وكان يرى أن أي تنظيم في هذه الشئون وما إليها لا يقدر له النجاح ولا يمكن تحقيق الغاية المرجوة منه إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومنهج للبحث وطرق التفكير.

لقد كان يرى أن الفلسفة ليست غاية في ذاتها ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين.

عندما وقعت الثورة الفرنسية، وبدأ المفكرون في وضع أسس الإصلاح الاجتماعي، اتخذ كونت من دوره كمصلح اجتماعي وسيلة لتأسيس علم جديد هو" علم الطبيعة الاجتماعية" الذي أطلق عليه فيما بعد" علم الاجتماع."

لقد تأثر أوجست كونت بالأحوال السياسية، والفكرية، التي سادت في عصره.

وقد شكل هذا أساسا لفلسفته الوضعية التي قامت في أساسها على دراسة الوقائع الاجتماعية دراسة علمية

فالمجتمع لكي يستقر ويتقدم ليس في حاجة إلى انسجام في المصالح المادية والمنافع المتبادلة فحسب، بل هو في حاجة إلى اتفاق عقلي.

لقد ألقى كونت نظرة مباشرة على المجتمع الذى عاش فيه فاتضح له الاضطراب العقلي الناشئ عن الاضطراب الخلقي، وهذا ناشئ بدوره عن الفوضى العقلية.

ولما كانت الحياة قائمة على دعائم من الأخلاق والمثل، فإن فساد هذه الدعائم وانهيارها، فساد للحياة وتقويض لأركانها.

ويخلص كونت إلى أنه لا سبيل للإصلاح الاجتماعي إلا بإصلاح الفكر الإنساني، وصلاحه يعني صلاح الأخلاق، وهذا بدوره يعني صلاح جميع فروع الحياة الاجتماعية.

hadeel alnatea

الفكرة إذن هي أساس النسق الاجتماعي .وهنا وجد كونت أن خلاص المجتمع من الفوضى العقلية يحتاج لفلسفة إصلاحية كوسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون المجتمع والأخلاق والسياسة .وبهذا المفهوم تعني الفلسفة علم الاجتماع.

إصلاح التفكير إذن هو أساس الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي.

ولكن ما هي الفوضى العقلية التي يقصدها كونت؟

وجد كونت أن المجتمع الفرنسي يعاني اضطراباً شديداً في التفكير، وهذا الاضطراب ناشئ عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر، **وهما**:

1. الأسلوب العلمي الوضعي الذي يتجه إليه الناس في عصره أثناء التفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية.
2. أسلوب التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يلجأون إليه عند التفكير في الظواهر التي تتعلق بالإنسان والمجتمع

وبمقتضى استمرار هذين الأسلوبين سوف يستمر الاضطراب الفكري الإنساني، بل وحدوث أقصى ما يمكن حدوثه من اضطراب في التفكير، إذ ليس بعد قبول النقيضين خلل في التفكير، ولا اضطراب في الفهم.

من هنا اطلق أوجست كونت على هذه الحالة اسم" الفوضى العقلية "ويصفها بأنها حالة من الفساد في الأخلاق والسلوك، وفساد شامل في الحياة.

لأن الفوضى العقلية هي التي أدت إلى فساد في الأخلاق والسلوك.

ولكن ما السلوك للقضاء على هذه الفوضى وهذا التناقض في أساليب التفكير؟

يعرض كونت في هذا الصدد ثلاثة حلول محتملة يمكن تصورها وهي:-

- أن نوفق بين التفكر الوضعي والتفكير الميتافيزيقي بحيث يوجدان معًا بدون تناقض.
- أن نجعل من المنهج البيولوجي الميتافيزيقي منهجًا عاملاً شاملاً تخضع له جميع العقول والعلوم ونصرف النظر عما وصل إليه التفكير الوضعي من حقائق علمية.
- أن نعمم المنهج الوضعي فنجعل منه منهجًا كليًا عامًا يشمل جميع ظواهر الكون، وبذلك نحقق مبدأ" وحدة المعرفة الوضعية".

أما الوسيلة الأولى فلا يمكن تحقيقها عملياً لأن المنهجين متناقضان تمام التناقض وتقدم أحدهما يستلزم ضرورة هدم الآخر.

فهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي كائنة ، وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق.

كذلك هناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر محاولاً الوصول إلى أسبابها المباشرة وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يدرس الحقائق الكلية ويبحث في العلل الأولى.

وهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الإيمان بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها وبين المذهب الميتافيزيقي الذى لا يؤمن بهذه الفكرة.

فالمنهج الأول نسبي والمنهج الثاني مطلق وغاية الأول كشف القوانين العلمية وغاية الثاني وضع

nadeel anafea

مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها وغني عن البيان أن منهجين هذا شأنهما لا نستطيع التوفيق بينهما، ولا يمكن اجتماعهما على صورة ما في أذهان الأفراد بدون إحداث اضطراب كبير في التفكير.

أما الوسيلة الثانية :وهى القضاء على الطريقة الوضعية وجعل الناس يفهمون الظواهر في ضوء الطريقة الدينية والميتافيزيقية .فهذا الحل قد يعيد إلينا الوحدة العقلية المنشودة.

ولكن هل يمكن تحقيقه عملياً؟

إن هذا الوضع الجديد يتطلب منا ضرورة القضاء على الحقائق الوضعية التي حصلنا عليها وأن نعود بالإنسانية حيث الدور الثيولوجي الميتافيزيقي.

ولكن كيف يمكننا أن ننكر على التاريخ تلك الانتصارات العلمية التي وصل إليها العقل الإنساني في المرحلة الوضعية؟

هل نستطيع أن ننكر اختراع الطباعة؟

وهل يمكننا أن ننكر أن كوبرنيك وجاليلو وديكارت وبيكون ونيوتن وغيرهم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية قد عاشوا ووصلوا إلى حقائق علمية وكان لهم تراث عقلي؟؟؟؟

<u>الاتجاه الثالث</u>

وهو أن نجعل التفكير الوضعي منهجاً كلياً عاماً ونقضى على ما بقي من مظاهر التفكير الميتافيزيقي

وهذا الاتجاه غير ممكن إلا إذا فهم الأفراد ظواهر الاجتماع على الطريقة العلمية ماعدا ظواهر المجتمع والإنسان ، ولا يمكن أن نجعل الناس يفهمون ظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي <u>إلا إذا توافر شرطان</u>:-

- الشرط الأول: أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات.
- الشرط الثاني: أن يستطيع الأفراد الوقوف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

بالنسبة للشرط الأول فيرى "كونت" أنه متوفر في الظواهر الاجتماعية لأن المجتمع جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة.

وبالنسبة للشرط الثاني وهو معرفة الناس لهذه القوانين فلا يمكن توفره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفة دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وصفية تحليلية أي دراسة وضعية.

<u>باختصار</u>: ثلاثة حلول يناقشه كونت للتخلص من حالة الاضطراب العقلي الناجم عن أسلوب التفكير في المجتمع

1. التوفيق بين أسلوب كل من التفكير الوضعي والتفكير البيولوجي وبين الميتافيزيقي (وجد كونت أن هذا أمر متناقض أساساً)
2. تعميم استخدام المنهاج اللاهوتي الميتافيزيقي وإهمال ونبذ نتائج التفكير الوضعي (وقد رفضه كونت لأنه ينفي جميع الانتصارات العلمية على يد غاليلو ونيوتن)
3. تعميم التفكير بأسلوب المنهاج الوضعي في فهم جميع ظواهر الكون وتحقيق وحدة المعرفة الوضعية وهو الحل الأسمى برأيه لفهم ظواهر الاجتماع التي تخضع للقوانين

hadeel anafa

وقد سمي كونت علمه الجديد بعلم الطبيعة الاجتماعية ثم عاد فسماه علم الاجتماع، لأن علم الاجتماع في نظره يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه .وقسم كونت موضوعات هذا العلم إلى شعبتين:-

- سمي الشعبة الأولى «الديناميك الاجتماعي» - وسمي الشعبة الثانية «الستاتيك الاجتماعي »

موضوع الشعبة الأولى دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس الاجتماع الإنساني في عمومه وفى جملته من ناحية تطوره، وانتقاله في كليته من حال إلى حال.

موضوع الشعبة الثانية دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، ويدرس كذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزئياته لأن المجتمع يتمثل في عدة نظم وقواعد منها السياسي ومنها القضائي ومنها الاقتصادي ومنها الخلقي ومنها الديني.

شعبتا علم الاجتماع عند كونت هما:

- الاستاتيكا الاجتماعية دراسة المجتمعات الإنسانية وقواعد المجتمع وجميع النظم ووظيفتها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن والترابط بين النظم الاجتماعية.
- الديناميكا الاجتماعية دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية، والكشف عن مدى التقدم الإنساني.

✓ الاستاتيكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التضامن الاجتماعي"
✓ الديناميكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التطور والتقدم"

من أهم مؤلفاته الذي مكث فيه ست سنوات (1854 – 1848) ويتكون من أربعة أجزاء ، تناول فيه موضوعات متنوعة **أهمها**:

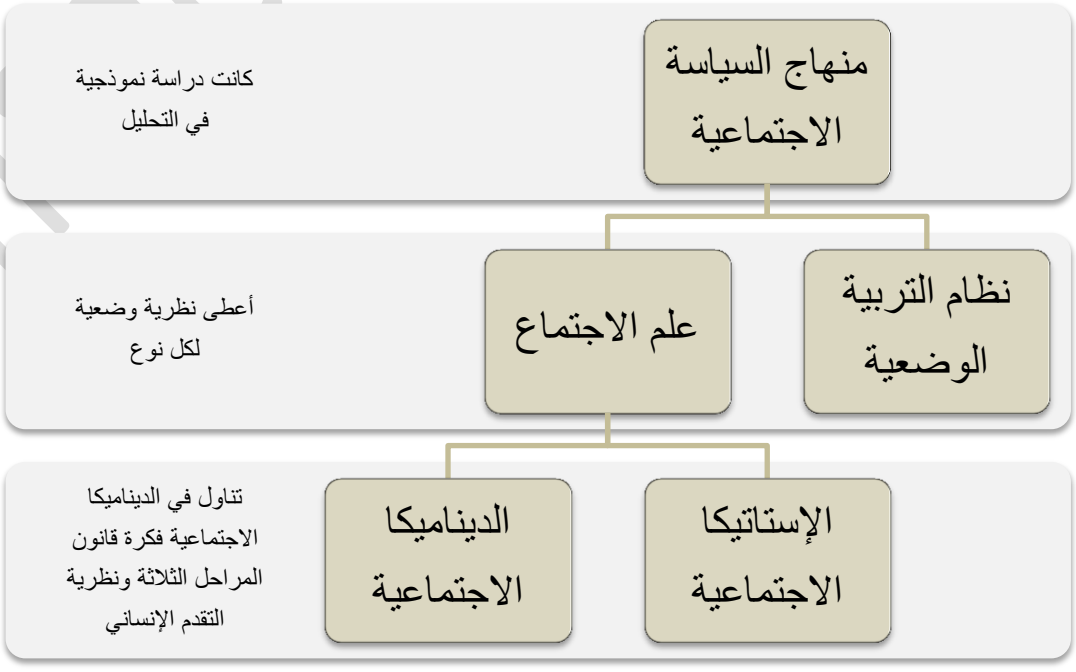

hodel anafea

أما في الاستاتيكا الاجتماعية أي علم الاجتماع في حالته الساكنة فقد تناول موضوعات متنوعة **أهمها**:

الاستاتيكا الاجتماعية (اللغة – الدين – الملكية – التنظيم – الطبقي – الأسرة)

ثانياً: أسس الدراسة ومنهج البحث

اتضح لنا أن كونت أنشأ علم الاجتماع لتحقيق عمومية التفكير الوضعي، والتفكير الوضعي ينطوي على تغيير شامل في أسس الدراسة التي تقوم عليها مناهج البحث في العلوم ويبدو هذا التغيير في النقط الآتية:-

1) أن ظواهر العلوم قبل أن تخضع للمنهج الوضعي كانت ترتبط بتدخل قوى خارقة للعادة ، أما فكرة القانون تحل محل هذه القوى التحكمية وأصبح الوصول إلى القانون العلمي هو المطلب الأول والمحور الأساسي الذى تدور عليه الدراسات والبحث.
2) كان التخيل أو التصوير الفلسفي هو العامل الأساسي الذى تقوم عليه المناهج القديمة ولكن الفلسفة الوضعية من مبادئها الجوهرية أن تخضع هذا التخيل للملاحظة.
3) لا تعطينا المناهج القديمة فكرة واضحة عن تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر أما علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقات التي توجد بين مختلف الظواهر الاجتماعية.
4) تميل المناهج القديمة إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية والعلل الأولى بينما الفلسفة الوضعية تهتم بتحديد معاني النسبية.

أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم

1. إخضاع الدراسة في هذه الظواهر للقانون الوضعي للوصول إلى القانون العلمي
2. إخضاع التخيل والتصور للملاحظة ونبذ التصورات الفلسفية للظواهر لكشف وسائل جديدة في البحث
3. تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر الاجتماعية في ضوء المنهاج المجالي طبقا للقوانين العلمية
4. تضييق دائرة المعاني المطلقة والمبادئ الكلية لتحويلها إلى معان نسبية مفهومة بهذا اكتسبت العلوم والمناهج أدوات للبحث

أما فيما يتعلق بمنهج البحث في علم الاجتماع فيرى كونت أن هناك نوعين من البحوث التي تؤدى بنا إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية أحدهما وسائل مباشرة والأخرى غير مباشرة.

أ) وسائل مباشرة : الخطوات المنهجية التي تشكل قواعد البحث العلمي، وهي الخطوات التي يستخدمها الباحث لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها.
ب) أما الوسائل غير المباشرة وهى في نظره ليست أقل أهمية أو ضرورة من الوسائل الأولى فتنتج منها العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بما عداه من العلوم الوضعية الأخرى، لأن هذه العلوم تمده بصفة دائمة بنتائج وحقائق وقضايا لها أهميتها في ميدان البحث الاجتماعي.

hadeel alnafea

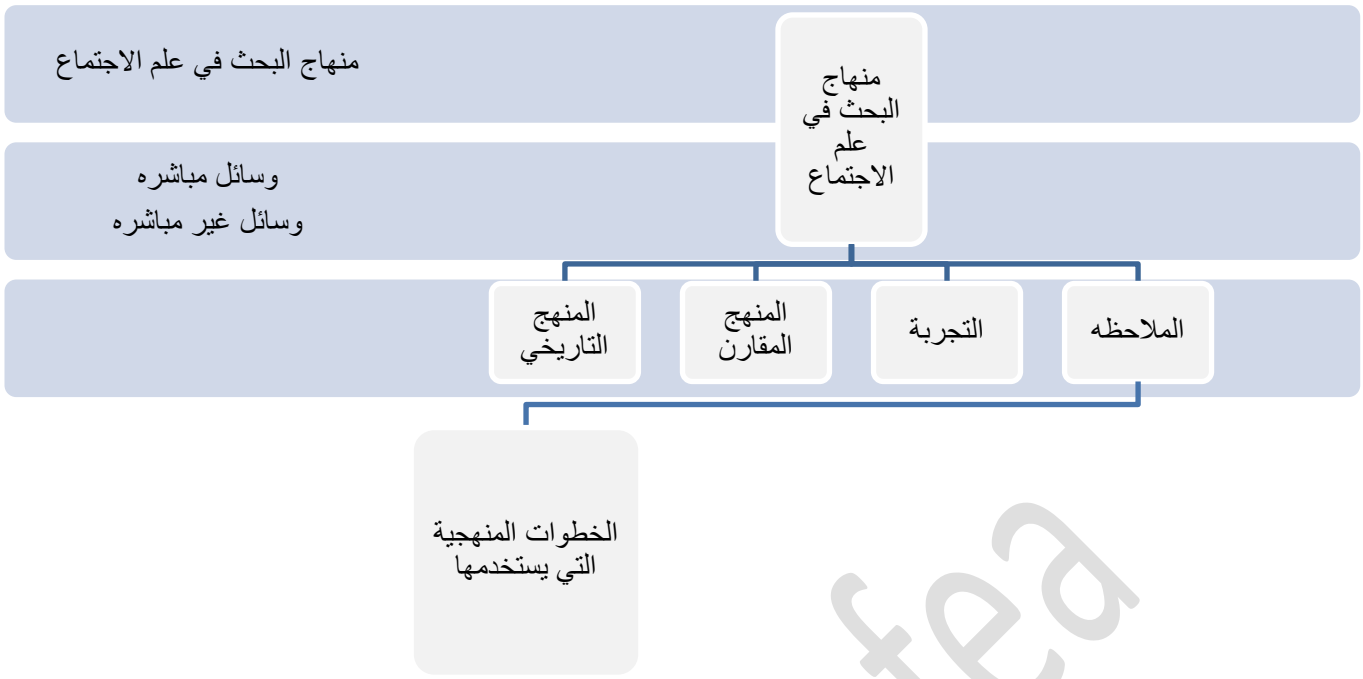

ما هي الوسائل إذن التي حددها أوجست كونت لتناول هذا المنهج؟ **إنها**:

- الملاحظة ، والتجربة ، والمنهج المقارن ، والمنهج التاريخي.

1) الملاحظة: هناك وسائل أخرى تساعدنا على الملاحظة الاجتماعية مثل دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر التراث الأخرى وتحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وما إليها ، فلاشك أن هذه المصادر تقدم لعالم الاجتماع ونافعة ويقينية تساعد في الكشف العلمي.
ويرى كونت أنه من الإسراف البالغ الاعتماد على الملاحظة واتخاذها أسلوباً من أساليب الكشف العلمي بصدد قوانين الظواهر الاجتماعية ولا بأس من اعتبارها عاملاً مساعداً في سبيل هذا الكشف.

2) التجربة: يقصد كونت بالتجربة أي التجربة الاجتماعية وليست التجربة العلمية التي تلجأ إلى إجراءها بصدد ظواهر الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا وذلك لأن مثل هذه التجارب الصناعية لا يمكن إجراؤها على ظواهر المجتمع.
والتجربة الاجتماعية الصحيحة في نظر كونت إنما تقوم على مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في حالة واحدة واختلافهما يرجع إلى هذه الحالة الواحدة، فوجود مثل هذه الحالة الطبيعية إنما هو بمثابة تجربة مباشرة أننا نستطيع أن نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذى كان سببا في اختلاف الظاهرتين ومدى تأثيره في غيرهما من الظواهر الأخرى.
أما التجارب غير المباشرة وهى التي توجد في الحالات "الباثولوجي" أي الحالات المرضية التي تصيب جسم المجتمع لأن المجتمع شأنه في ذلك شأن جسم الإنسان عرضة للأمراض التي تنتابه من حين لأخر، هذه الأمراض تتمثل في الفتن والثورات والانقلابات، هذا إلى أن هذه الوسيلة غير مجدية وليست مواتيه في كل الظروف والمناسبات فليس على الباحثين من سبيل لكي ينتظروا وقوع حالات مرضية في المجتمع حتى يستطيعوا في ضوء بحثها الوصول إلى نتائج وتجارب في ميدان الكشف الاجتماعي.

3) المنهج المقارن: المقارنة الاجتماعية بالمعنى الصحيح تقوم في مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينهما ، وقد تتخذ المقارنة صورة أضيق من ذلك نطاقاً بمعني أنها تتناول مقارنة الطبقات أو الهيئات في نطاق شعب واحد أو مجتمع محدود.

hadeelalnafea

وقد تتخذ المقارنة صورة ثالثة أعم وأشمل من الصورتين السابقتين وهي مقارنة جميع المجتمعات إلى الإنسانية في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر، أي مقارنة الإنسانية ككل بالإنسانية ذاتها في مرحلة أخرى وذلك للوقوف على مبلغ التقدم الذى تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوار تقدمها وارتقائها.
والمقارنة في مثل هذه الحالة تفقد موضوعتيها وتصبح قائمة على فكرة فلسفية مجردة تقترب إلى حد كبير من نظريات فلسفة التاريخ.

4) المنهج التاريخي: يعتبره كونت آخر حجر في بناء المنهج الوضعي ويسميه "بالمنهج السامي" ويقصد نه المنهج الذى يكتشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشرى باعتبار أن هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أرقى منها ، وأقام كونت منهجه التاريخي على أساس قانونه الشهير "قانون الأدوار الثلاثة" وهو قانون يدعى أنه استخلصه من دراسة تاريخ الإنسانية دراسة علمية تحليلية ، والواقع أنه يعبر عن آراء فلسفية شخصية يؤمن بها كونت وحده ولا يعبر عن حقائق التاريخ ولا يصور مبلغ التطور الذى قطعته المجتمعات الإنسانية في تقدمها.
فكأن كونت لم يفهم من المنهج التاريخي ذلك المعني الذى نفهمه الآن من أن هذا المنهج يتطلب أن يقف الباحث على طبيعة الظاهرة وعناصرها وتطورها واختلاف أشكالها باختلاف الشعوب وباختلاف مراحل التطور وعلاقتها بما عداها من الظواهر الاجتماعية ، ولكنه فهم منه معني فلسفياً بعيداً عن طبائع الأمور ولا يمكن أن يؤدى به الكشف علمي محقق، ولاشك أن كونت قد أساء إلى منهجه بهذا الفهم الخاطئ وانحرف انحرافاً ظاهراً عن الخطة العلمية التي أراد أن يرسمها لدراسة ظواهر العمران دراسة وضعية.

<u>قواعد منهج البحث العلمي في علم الاجتماع</u>

- وسيلة الملاحظة: هي عنصر مساعد من عناصر البحث الاجتماعي تسهم في معاينة الوقائع وإدراك الخصائص ووضع الفروض العلمية وجمع المعلومات
- وسيلة المنهج المقارن: تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على درجة تقدمها أو تخلفها
- وسيلة التجربة: ويقصد التجربة الاجتماعية حين يتم مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل المتغيرات ومختلفتين في متغير واحد، ويسميها كونت بالتجربة المباشرة
- وسيلة المنهج التاريخي: ويعتبرها كونت المنهاج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري بمختلف المراحل، وربط وظيفة هذا المنهاج بقانونه

hadeel alhafed